

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر

قسم الكتاب والسنة

للعلوم الإسلامية

مداخلة في ندوة " التفسير الموضوعي - دراسة في المنهج - " بعنوان:

التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي

ملاحظة تكامل لا تماثل

إشراف الدكتور:

عبد الرحمان معاشي

إعداد الطالب الباحث:

محمد الصالح ستي

- سنة ثانية دكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن.

- الهاتف: 0671519502

- البريد الإلكتروني: taleb.se@gmail.com

السنة الجامعية 2018/2017 م

مقدمة

الحمد لله رب الأرباب ومسبب الأسباب، منزل أعظم وأكرم كتاب، نورا وهدى للأولي الألباب، والصلاة والسلام على النبي وآله والأصحاب.

وبعد : فإن الله تعالى نزل كتابه تبيانا لكل شيء، فيه نبأ من قبلنا، وخبر من بعدنا، وحكم ما بيننا، من تركه من جبار أذله الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فكان لزاما على كل مسلم أن يجعل القرآن الكريم دستور حياته، ونبراس طريقه، ولا يتأتى ذلك إلا بفهم مراد الله تعالى من كلامه، والتدبر في آياته، والعمل بأحكامه، ومن هنا كان علم التفسير من أشرف العلوم وأزكاها، وخير الفنون وأنداها.

وسعيا إلى تحصيل هذا الشرف، وطمعا في نيل هذه الخيرية، فقد اجتهد علماء الأمة ومنذ القرون الأولى في تفسير كتاب الله تعالى تفسيرا تحليليا، بيان معاني ألفاظه، واستخراج أحكام آياته، واستنباط أسرار وهداياته، فحفلوا لنا تراثا تفسيرا ضخما، تنوعت مناهجه: بين تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، وتعددت ألوانه: بين تفسير مفصل، وتفسير مجمل، وتفسير مقارن، وتنوعت اتجاهاته: بين تفسير لغوي بلاغي، وتفسير فقهي، وتفسير علمي، وتفسير اجتماعي إصلاحي ...

ومن المعلوم المؤكد أن القرآن الكريم هو حجة الله البالغة، ومعجزة النبي ﷺ الخالدة، والنبع الذي لا ينضب، والنور الذي لا يافل، فهو مناسب لكل زمان ومكان، ونظرا لتطور حياة البشر وتجدد شؤونهم وحاجاتهم، وظهور أفكار ومفاهيم حديثة لا عهد للأجيال السابقة بها، وبرز مشكلات ونظريات اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية، لم يكن لها أثر في عهد التنزيل، ظهر نوع آخر من التفسير يبدأ فيه المفسر أساسا من الواقع الذي يعيشه، فيستخرج متطلباته وقضايا ومشكلاته، ثم يسوغها في شكل موضوع معين، ويعرضه على القرآن الكريم، ليستخلص منه الحلول والإجابات، وهذا ما اصطُح عليه بالتفسير الموضوعي.

ونظرا لحدائثة هذا النوع من التفسير، وتزايد أهميته ودوره في الإجابة عن كثير من قضايا المجتمع ومتطلباته، وتوجيه عديد من الدراسات الجامعية والأكاديمية إلى هذا اللون من التفسير، بدأت تظهر بعض الأصوات ترى بأفضلية التفسير الموضوعي على التفسير التحليلي، وأن التفسير الموضوعي هو الأنسب لهذا العصر، وما جاء هذا التفسير إلا لسد عجز وقصور التفسير التحليلي عن مواكبة متطلبات هذا العصر، إلى أن وصل الحد بالبعض إلى الدعوة صراحة إلى الاستغناء عن التفسير التحليلي؛ كونه تفسيراً تقليدياً قد تلاشى دوره في هذا العصر واندثر.

من هنا تولدت فكرة هذا البحث لتسليط الضوء على العلاقة التي تجمع بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي، وهل هي علاقة تمايز وتفاضل؟ أم هي علاقة تفاعل وتكامل؟

للإجابة على هذا التساؤل سنتبع الخطة المتكونة من النقاط الآتية:

أولاً: تعريف التفسير التحليلي وذكر أهميته.

ثانياً: تعريف التفسير الموضوعي وذكر أهميته.

ثالثاً: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي.

رابعاً: مناقشة دواعي تفضيل وترجيح التفسير الموضوعي على التفسير التحليلي.

خاتمة: نذكر فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

أولاً: تعريف التفسير التحليلي وذكر أهميته

1- تعريف التفسير التحليلي:

يُعرّف التفسير التحليلي بأنه: علم يُكشف به عن مراد الله تعالى من كلامه بحسب الطاقة البشرية وفق ترتيب سور القرآن، وتسلسل آياته التوقيفي¹.

وهذا النوع من التفسير إما أن يكون مفصلاً أو إجمالياً أو مقارناً:

فيكون مفصلاً إذا تناول المفسر الآيات بالتحليل الموسع والشرح المفصل، حيث يذكر كل المباحث المتعلقة بالآية من: روايات وأخبار، أسباب نزول، قراءات، مباحث اللغة والنحو والبلاغة، مناسبات، مسائل فقهية، عقدية، اجتماعية، علمية، ...، ويزداد حجم هذه المباحث وينقص حسب نوع التفسير وتوجه المفسر، وهذا ما غلب عليه اصطلاح التفسير التحليلي.

ويكون إجمالياً إذا نَحَى المفسر إلى الإيجاز والاختصار، حيث يقتصر فيه المفسر على تقديم المعنى الإجمالي للآيات، دون توسع في المباحث المذكورة سلفاً.

ويكون مقارناً إذا قام المفسر بالمقارنة بين مفسرين فأكثر حول تفسيرهم لمجموعة من الآيات أو سورة قصيرة، وذلك ليتعرف على منهج وطريقة كل مفسر في تناوله لهذه الآيات، ومدى التزامه بمنهجه وطريقته في ذلك، وبعد المقارنة يخرج بنتيجة، فيحكم لهذا المفسر أو عليه، بحسب نظرته ورأيه.

وقد أطلق بعض الباحثين على هذا النوع من التفسير اسم التفسير الموضوعي أو التفسير التجزيئي:

¹ : منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، سامر عبد الرحمن رشواني، ص 48.

- أُطلق عليه اسم التفسير الموضوعي لأن المفسر فيه يرجع إلى موضع واحد من القرآن الكريم،
متتبعا لترتيب الآيات في سورها.²

- وأطلق عليه اسم التفسير التجزيئي لأن المفسر فيه يقوم بتجزئ القرآن الكريم آية آية بل
كلمة كلمة، فيشرح معناها ويدلل مفهومها ويستخرج أحكامها، وهكذا من جزء إلى آخر
حتى يأتي على تمام القرآن كله.³

2- أهمية التفسير التحليلي:

لا يخفى على أحد أهمية التفسير التحليلي ودوره في خدمة كتاب الله تعالى وأمة الإسلام على
مدى العصور، فلم يترك المفسرون - جزاهم الله عنا كل خير - شاردة ولا واردة في كتاب الله
تعالى إلا أشاروا إليها ونبهوا عليها، فإضافة إلى تبين مراد الله تعالى من كلامه، وتيسير فهمه
لعامة الناس، فقد تركوا لنا زادا علميا وافرا في شتى الميادين ومختلف الفنون: الأثر، اللغة،
البلاغة، الفقه، العقيدة، الأخلاق والتزكية ...، وكل هذا من بركة القرآن الكريم، وفضله
العظيم.

² : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 46.

³ : ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص 09.

ثانياً: تعريف التفسير الموضوعي وذكر أهميته

1- تعريف التفسير الموضوعي:

قدم الباحثون المعاصرون الذين كتبوا في التفسير الموضوعي تعاريف عديدة له، منها ما هو مطول، ومنها ما هو مختصر، ومنها ما ينطبق على لون من ألوان التفسير الموضوعي، ومنها ما ينطبق على أكثر من لون، ومن هذه التعاريف:

أ- هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

ب- هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

ج- هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن، الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة.

د- هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع.

هـ- هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.⁴

ولعل التعريف الأخير هو أشمل وأوجز تعريف، وهو التعريف الذي رجحه كثير ممن كتب في التفسير الموضوعي من المعاصرين.

ويندرج تحت هذا اللون من التفسير ثلاثة أنواع نذكرها باختصار وهي:

⁴ : ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، ص 20. دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر بن عوض الألمعي، ص 07. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 16.

أ- **الموضوع القرآني**: أن يختار المفسر موضوعاً من موضوعات القرآن العامة، ويجمع كل الآيات القرآنية التي تناولته، وينظر فيها ويستخرج منها الدلالات والهدايات المختلفة، ثم يعيد بناءها في نسق معين، ويقدم من خلالها الحلول للقضايا والمشاكل التي تدور في واقعه المعاش، وهذا النوع هو أساس وأصل التفسير الموضوعي.⁵

ب- **المصطلح القرآني**: أن يختار المفسر لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم، ورد كثيراً في السياق القرآني، فيتبعه في السور والآيات، ويلحظ اشتقاقاته، وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة، ويستخرج منها الدلالات واللطائف والحقائق.⁶

ج- **السورة القرآنية**: أن يختار المفسر سورة من القرآن الكريم، فيستخرج هدفها الأساسي، أو أهدافها الرئيسية، ثم يبحث عن سبب النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع، والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة، فيتوصل إلى شخصية السورة المستقلة ووحدتها الموضوعية.⁷

2- أهمية التفسير الموضوعي:

تظهر أهمية التفسير الموضوعي في النقاط الآتية:

- أ- تقديم حلول لمشكلات المسلمين المعاصرة على أسس ومبادئ نص عليها القرآن الكريم.
- ب- تقديم القرآن الكريم تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة أداة لهذا الغرض.

⁵ : ينظر: محاضرات في التفسير الموضوعي، عباس عوض الله، ص 28.

⁶ : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 59.

⁷ : ينظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان اللوح، ص 21.

ج- إظهار حيوية وواقعية القرآن الكريم؛ حيث أنه يصلح لكل زمان ومكان.

د- عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن؛ الذي لا تنقضي عجائبه.

هـ- التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها عرضاً قرآنياً منهجياً، وتصويب هذه الدراسات وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.

و- الرد على أهل الأهواء والشبه قديماً وحديثاً، لكون دراسة مثل هذا النوع من التفسير يجمع شتات الموضوع الواحد ويحيط بجميع أطرافه، فيمكن دراسته بيسر والرد على المخالفين.

ز- يخدم التفسير الموضوعي تفسير القرآن بالقرآن، فما عُلم في موضع خُصص في آخر، وما أُجمل في موضع فُصل في آخر، وما أُطلق في موضع فُيد في آخر، فمن خلال جمع آيات الموضوع الواحد، يظهر تفسير هذه الآيات لبعضها البعض، كما يمكن إزالة ما يوهم التعارض بين الآيات إن وجد، وتوجيهه توجيهاً علمياً سليماً.

ح- تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها، بما يتوافق وهدايات القرآن الكريم، لتجنب تحميل آيات القرآن ما لا تحتل، أو إقحامها في مواضيع لا علاقة لها بها.

ط- التفسير الموضوعي يعيد توثيق الصلة القرآنية لمختلف العلوم الشرعية الإسلامية، ويعرض هذه العلوم الشرعية على أساس توجيهات وحقائق القرآن الكريم، وبه يتم إلغاء كل ما لا يتفق مع القرآن الكريم من هذه العلوم.⁸

⁸ : ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني، ص 12-13، البداية في التفسير الموضوعي، عبد المحي الفرماوي، ص 76-77، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف، ص 18-19. التفسير الموضوعي نشأته ومنهج الكتابة فيه، مصباح موساوي، مقدمة الكتاب (ز).

ثالثاً: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي

لا شك أن هناك فروق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي باعتبار عدة معايير، وأهم هذه الفروق:

1- من حيث النشأة:

يعتبر التفسير الموضوعي بمنهجه المستقل وأسلوبه الخاص متأخر النشأة - إذ لم يعرف إلا في هذا العصر - بالمقارنة مع التفسير التحليلي، والذي عُرف منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم، رغم أن هناك من الباحثين من حاول إقحام بعض كتابات المتقدمين في مواضيع خاصة بالقرآن كأقسام القرآن، وأمثال القرآن... في التفسير الموضوعي لإظهار قدم نشأته، إلا أن هذا لا يستقيم والمنهج الحديث للتفسير الموضوعي الذي نحن بصدد الحديث عنه.

2- من حيث المنهج المتبع: ويشمل عدة نقاط:

أ- في التفسير التحليلي يلتزم المفسر بالترتيب التوقيفي للسور والآيات، كما هو في المصحف، بينما في التفسير الموضوعي لا يلتزم المفسر بذلك، وإنما يلتزم بترتيب آخر تفرضه طبيعة الموضوع وبنيته الفكرية.⁹

ب- في التفسير التحليلي قد يعالج المفسر عدة مواضيع بحسب ما يرد في الآيات والسور التي يتناولها، بينما لا يُعنى المفسر الموضوعي إلا بما يخدم موضوعه.¹⁰

ج- المفسر في التفسير التحليلي يتعرض للألفاظ والآيات القرآنية بالشرح والتحليل بما يتماشى ومنهجه التفسيري وثقافته الخاصة، بينما المفسر في التفسير الموضوعي لا يشرح إلا ما يحتاجه للوصول إلى غرضه، ويكشف له عن غوامض موضوعه.¹¹

⁹ : البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي، ص 52.

¹⁰ : المرجع نفسه، ص 52.

د- في التفسير التحليلي يتعرض المفسر لفهم الآيات كما جاءت في سياقها في السورة، دون الالتفات إلى الآيات التي تتقاطع مع ما يفسره من حيث المعنى إلا بالقدر الذي يخدم فهمه وإدراكه لهذه الآيات، بينما يعمد المفسر في التفسير الموضوعي إلى جمع كل الآيات التي تتقاطع في المعنى وتخدم فكرة موضوعه.¹²

ه- المفسر في التفسير التحليلي ينظر في القرآن وسوره وآياته، يبدأ منه، ويبقى معه، وينتهي به، يجلس أمام القرآن، ويتلقى منه، ويستمتع إليه، ويسجل ما يتلقاه ويأخذه منه.

بينما المفسر في التفسير الموضوعي يبدأ من الواقع الذي يعيش فيه، ويدرك حاجات الأمة والإنسانية في عصره على مختلف جوانبها، وينظر في حاجاتها الفكرية والنظرية والعلمية والسلوكية والإنسانية والحضارية والسياسية والاقتصادية، وغير ذلك .

وبعدما يعي هذه الحاجات الواقعية، ويحسن تشخيصها واستيعابها، يتوجه إلى القرآن ليتفاعل معه، ويتعلم منه، ويعرف رأيه في هذه الحاجات والقضايا الواقعية المعاصرة.¹³

و- المفسر في التفسير التحليلي يكتفي بتحليل الآيات وجمليها وتراكيبها، واستخراج دلالاتها التفصيلية الجزئية، بينما المفسر في التفسير الموضوعي يجمع بين هذه المدلولات التفصيلية، وينسق بينها، ويصل بين جزئياتها المفردة، وبين الكل العام الجامع لها، ويستخرج من مجموعها نظرية قرآنية واقعية متكاملة.¹⁴

11 : المرجع السابق، ص 52.

12 : ينظر: منهج التفسير الموضوعي، سامر عبد الرحمان رشواني، ص 48.

13 : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 48.

14 : المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص 27.

3- من حيث النتيجة المتوصل إليها:

المفسّر في التفسير التحليلي يقدّم للمسلمين علماً تفسيريّاً نظريّاً، ومعلومات تفسيرية ثقافية، ومجالات علمية متنوّعة في: العقيدة والحديث واللغة والبلاغة والنحو والفقه، وغير ذلك .

بينما المفسّر في التفسير الموضوعي يقدّم للمسلمين فكراً وحضارة، وحلولاً قرآنية لمشكلات واقعية، وحقائق قرآنية عن قضايا اجتماعية وحضارية، فالعلاج والشفاء في التفسير الموضوعي أهمّ وأدقّ وأشمل¹⁵.

4- من حيث الغاية والهدف العام:

التفسير التحليلي يخدم الآية والجملة والمفردة القرآنية، بينما يخدم التفسير الموضوعي مهمّة القرآن ورسائله ووظيفته في حياة المسلمين، ويزيد تفاعل المسلمين مع القرآن، وقناعتهم بحقائقه، ودعوتهم إليه¹⁶.

هذه أهمّ الفروق بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي التي ذكرها من كتب في التفسير الموضوعي، مع التنبيه إلى أن ليست كلها فروق دقيقة معتبرة، وهذا ما سوف نبرزه من خلال الفقرة الموالية.

¹⁵ : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 50.

¹⁶ : المرجع نفسه، ص 50.

رابعاً: مناقشة دواعي تفضيل التفسير الموضوعي على التفسير التحليلي

من خلال بعض الفروق التي تم ذكرها في الفقرة السابقة، إضافة إلى ما كتبه بعض الباحثون في التفسير الموضوعي، يظهر أن هناك توجه واضح إلى ترجيح كفة التفسير الموضوعي على التفسير التحليلي، وإظهاره في سورة المنقذ لهذه الأمة من كل المشاكل التي تتخبط فيها، ومحاولة تقزيم وتقليص دور التفسير التحليلي في هذا العصر¹⁷، وإن كنا لا ننتهم هؤلاء الباحثين بالدعوة إلى إلغاء التفسير التحليلي، والاستغناء عنه، أو نطعن في سلامة قصدهم في خدمة القرآن ومحاولة إصلاح حال هذه الأمة، إلا أن مجرد طرح هذا التفضيل والترجيح للتفسير الموضوعي على عواهنه، أثار الشبهة عند بعض ضعفاء القلوب ومنحرفي العقول إلى الدعوة صراحة إلى الاستغناء عن التفسير التحليلي، وطرحه جانبا لعدم ملاءمته لمتطلبات العصر الراهن.

وعليه سوف نقوم بعرض أهم المرجحات للتفسير الموضوعي كما يراها أصحابها، ونثبت بأن غالبها لا يستند إلى سند علمي دقيق، بل هي مجرد دعاوى لا برهان عليها ولا سند لها.

1- تفاعل التفسير الموضوعي مع الواقع الخارجي بخلاف التفسير التحليلي

يرى بعض الباحثين أن التفسير الموضوعي يرجح على التفسير التحليلي لأنه يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، إذ أن المفسر يبدأ من خلاله بالواقع الخارجي ثم ينتقل إلى القرآن الكريم ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أخرى بنتاج بحثه داخل القرآن، مما يجعل القرآن الكريم ملبياً وبشكل مستمر لكل متطلبات الحالة الإنسانية والاجتماعية التي تفرضها حركة التاريخ والحركة التكاملية لهذا الإنسان.

¹⁷ : ويعد محمد باقر الصدر أبرز من تبنى هذا الرأي ودافع وناخ عنه بشدة في كتابه " المدرسة القرآنية "، وتبعه بعض الباحثين ممن كتبوا في التفسير الموضوعي تصريحا أو تلميحاً.

ومن هنا تبقى للقرآن قدرته الدائمة على القيمومة والعطاء المستجد الذي لا ينفد والمعاني التي لا تنتهي؛ التي نص عليها القرآن نفسه ونصت عليها الأحاديث النبوية، ولا توجد مثل هذه الخصوصية والميزة في منهج التفسير التحليلي والذي يبدأ من القرآن وينتهي إليه، فالمفسر في التفسير التحليلي لا يلتفت لواقع أمته، ويقتى مع الآيات القرآنية شارحا محللا مفسرا.¹⁸

المناقشة:

لا يمكن أن ننكر التفاعل الخارجي للتفسير الموضوعي مع الواقع، فمنه يبدأ وإليه يعود، وهو وسيلة لتقدم حلول قرآنية نافعة لكثير من القضايا والمشكلات الواقعية، ومن جهة أخرى فإنه لا يمكن اعتبار هذه الخصوصية ميزة ومرجحا للتفسير الموضوعي على التفسير التحليلي، وذلك لأن هذا الميزة قائمة وموجودة في منهج التفسير التحليلي أيضاً، فلم تخل كتب التفسير لمختلف العصور، من الالتفات إلى الواقع المعاش، ومحاولة معالجة القضايا والمشاكل الدائرة فيه، وذلك من خلال الهدايات والإرشادات التي يستنبطها كثير من المفسرين بعد تفسيرهم للآيات، وغاية ما في الأمر أن مستوى هذه المعالجة قد يختلف زيادة ونقصا باختلاف ثقافة المفسر واتجاهه التفسيري، وخير مثال لمعالجة التفسير التحليلي للواقع وتفاعله معه، مدرسة التفسير الاجتماعي، ورائدها محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، ومدرسة التفسير الإصلاحي ورائدها الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسير مجالس الذكر، ولولا محدودية حجم البحث لقدما أمثلة حية من هذه التفاسير، يتضح بها مدى تفاعل التفسير التحليلي مع الواقع.

2- إيجابية دور المفسر الموضوعي مقابل سلبية دور المفسر التحليلي

ويقصد بالدور الإيجابي للمفسر الموضوعي أنه يجلس جلسة إيجابية مع القرآن، يحاوره ويستنطقه ويسأله، ويطلب من القرآن رأيه الإيجابي الصادق الصائب في القضايا

¹⁸ : ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص 16. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 49. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف، ص 18.

والموضوعات، التي يعيشها الناس في واقعه وعصره، ويأخذ من القرآن حقائقه اليقينية القاطعة، وبعد ما يتلقى عن القرآن الإجابات العلمية الموضوعية الصائبة، يقوم بترتيب هذه الإجابات، ويقدمها لأمته، ليصلحوا واقعهم على أساسها.

بينما يكون دور المفسر التحليلي سلبيا على الغالب، فهو يبدأ بتناول الآيات القرآنية من دون أي افتراضات أو أطروحات مسبقة، ويحاول أن يحدد المدلول القرآني على ضوء ما يسعفه به اللفظ، مع ما يتاح له من القرائن المعينة على ذلك، فيأخذ القرآن دور المتحدث، ويكون دور المفسر هو الإصغاء والاستماع، وفهم ما يتلقاه من القرآن، هذا ما يسمى بالدور السلبي للمفسر.¹⁹

المناقشة:

يعتبر هذا المرجح امتدادا لسابقه، ويدور حول علاقة المفسر بالواقع ومدى تفاعله معه، فيصلح عليه ما تقدمنا به في المناقشة السابقة، إلا أن ما يحسن إضافته بهذا الصدد، هو أن كون المفسر هو المتحدث أو المستمع - على رأي هؤلاء - فإن هذا لا يعتبر مقياسا للإيجابية والسلبية، وليس له أهمية بقدر أهمية ما ينتجه المفسر ويتوصل إليه من تفسيرات وفوائد، وما يحدثه من أثر في نفوس البشرية وحياتهم، هذا هو مقياس الإيجاب والسلب.

أما اعتبار دور المفسر الموضوعي إيجابيا كونه هو المتحدث للقرآن، ودور المفسر التحليلي سلبيا كونه هو المستمع للقرآن، فهذا التمييز يعتمد على معيار افتراضي مجازي، لا على معيار علمي منهجي.

3- تجدد واتساع مجال التفسير الموضوعي بخلاف محدودية التفسير التحليلي

وحسب هؤلاء فإن التفسير الموضوعي له مجال واسع وآفاق متجددة، بتجدد قضايا ومتطلبات كل عصر، وهو قادر على التطور والنمو لأن التجربة البشرية تثريه، والدرس

¹⁹ : ينظر: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص 16.

القرآني والتأمل القرآني على ضوء التجربة البشرية يجعل هذا الثراء محوّلًا إلى فهم إسلامي قرآني صحيح.

بينما التفسير التحليلي محدود المجال لاعتماده أساسا على التفسير اللغوي؛ الذي له طاقة محدودة، إذ ليس هناك تجدد في المدلول اللغوي، ولو وجد تجدد في المدلول اللغوي فهو في مجال جد ضيق.²⁰

المناقشة:

هذا المرجح لا يسلم له كذلك، فرغم كون المفسر في التفسير التحليلي مقيدا بحدود الآيات أو الآيات التي هو بصدد تفسيرها، كما أنه يعتمد على التفسير اللغوي للألفاظ والكلمات في الأساس، إلا أن مجال الإبداع والتطور عنده غير محدود، ولا أدل على ذلك من تطور شكل ومضمون التفسير التحليلي منذ أن ظهر في عهد الصحابة، إلى أن وصل إلى أكمل وجه عليه في عصرنا الحالي، وإن كان تطور المدلولات اللغوية محدود إلى حد ما، فإن ما يستنبط منها من أحكام، وما يستخرج منها من فوائد، وما يثار حولها من مسائل، لا حد له ولا حصر، كما أن التفسير التحليلي لا يقتصر على الشرح اللغوي فحسب، بل يشمل فوائد في مجالات شتى وفنون متعددة: كالفقه والعقيدة والأخلاق والآداب...، وهذا مجال واسع للتجديد والنمو، ولا يزال المفسرون يستدرك بعضهم على بعض، ويضيف بعضهم لبعض، ويصوب بعضهم بعضا، إلى يومنا هذا.

ومن جهة أخرى فإن فتح المجال على عواهنه لقضايا ومشكلات العصر في التفسير الموضوعي دون قيد أو ضابط، أدى إلى ظهور بعض الدراسات الموضوعية لا علاقة لها

²⁰ : ينظر: المرجع السابق، ص 22.

بالقرآن، بل هي مجرد تكلفات وتمحلات حاول أصحابها تحميل آيات القرآن ما لا تحتل،
وصرفها عن ظاهرها اللغوي، بهدف ملاءمة آرائهم وأفكارهم الشخصية.

4- عمق التفسير الموضوعي مقابل سطحية التفسير التحليلي

وحسب هؤلاء فإن التفسير الموضوعي يمتاز بالعمق وبعد النظر في مدلول الآيات القرآنية،
فالمفسر الموضوعي لا يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية، بل يحاول أن
يستخلص أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية من أجل الوصول إلى مركب نظري
قرآني، يحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب، وهذا ما نسميه
بلغة اليوم بـ (النظرية القرآنية).

بينما يمتاز التفسير التحليلي بالسطحية في تناول الآيات القرآنية، فالمفسر يتوقف عند حد
فهم مدلول الآية القرآنية أو الجزء القرآني الذي يتناوله، وعلى هذا فإن حصيلة التفسير
التحليلي للقرآن الكريم تساوي وعلى أفضل التقادير مجموع مدلولات القرآن الكريم ملحوظة
بنظرة تجزئية، أي أننا سوف نحصل على عدد كبير من المعارف والمدلولات القرآنية، ولكن في
حالة تناثر وتراكم عددي، دون أن نكتشف أوجه الارتباط بينها، ودون أن نحدد في نهاية
المطاف نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة.²¹

المناقشة:

إن وصف التفسير التحليلي بالسطحية لتوقفه عند حد فهم مدلول ألفاظ القرآن، أو طرحه
لمجموعة من المدلولات المتناثرة وغير المرتبطة، قد ينطبق على التفسير التحليلي في العصور
المتقدمة، أما التفسير التحليلي بمنهجه المتكامل في هذا العصر، فقد أصبح يُولي أهمية كبرى
للربط بين مدلولات الآيات في السورة الواحدة، وحتى بين السور المتعددة، ومحاولة

²¹ : المرجع السابق، ص 14، بتصرف.

استخلاص وجه المناسبة بينها، وهذا ما اصطح عليه بعلم المناسبات، الذي أصبح يأخذ حيزاً واسعاً في التفسيرات المعاصرة، فقدم لنا المفسرون فوائد واستنباطات قيمة، مستوحاة من مناسبة الآيات والسور لبعضها البعض، تظهر إعجاز القرآن الكريم، وتعانق آياته، ومثانة نظمه.

5- ظهور الخلافات المذهبية والفكرية في التفسير التحليلي بخلاف الموضوعي

بحسب هؤلاء فإن حالة التناثر ونزعة الاتجاه التحليلي أدت إلى ظهور التناقضات المذهبية العديدة في الحياة الإسلامية، إذ كان يكفي أن يجد هذا المفسر أو ذاك، آيةً تبرر مذهبه لكي يعلن عنه ويجمع حوله الأنصار والأشباع، كما وقع في كثير من المسائل الكلامية، كمسألة الجبر والتفويض والإجبار، والسرّ في ذلك هو التراكم العددي للمعلومات، والذي يختصّ به التفسير التحليلي، خلافاً للموضوعي؛ فإن المفسر لا يقتصر فيه على التجميع العددي للمدلولات، بل يتقدّم خطوةً على المفسر التحليلي، فيحاول تركيب مدلولات القرآن والمقارنة بينها.²²

المناقشة:

لا يمكن بأي حال من الأحوال نسبة ظهور التناقضات المذهبية والانحرافات العقدية والخلافات الفكرية في التفسير، إلى منهج التفسير التحليلي فحسب، فهذه المسألة لا علاقة لها بمنهج المفسر، وإنما تتعلق بعقيدة المفسر وورعه وتقواه، فكلما كان المفسر منحرف العقيدة، قليل الورع، عديم التقوى، ظهر أثر ذلك على تفسيره، سواء كان تحليلياً أو موضوعياً، وكما ظهرت هذه الانحرافات العقدية والخلافات الفكرية في التفسير التحليلي، فقد ظهرت كذلك عند من كتب من هذه الطوائف في التفسير الموضوعي، بل أن هناك كثير من الباحثين والمفسرين في العصور المتأخرة اعتمدوا المنهج الموضوعي ومع ذلك توصلوا إلى

²² : المرجع السابق، ص 12-13.

نتائج مختلفة ومتناقضة، ولعل اتساع مجال العقل والنظر في التفسير الموضوعي يجعل ظهور مثل هذه الاختلافات والتناقضات أوسع وأشد.

والصواب أن التناقضات العقائدية والخلافات الفكرية يمكن إرجاعها إلى ثلاثة أسباب لا علاقة لها بمنهج التفسير، وهي:

أ- مغبة مبدأ " الاعتقاد قبل الاستدلال "، والذي ألقى بظلاله على كل العلوم، وبخاصة التفسير، لأن كل الفرق الضالة تسعى إلى إيجاد أدلة من القرآن، تثبت بها عقائدها، وتستند إليها في آرائها.

ب- تأثر المفسر بترجيحاته العقلية، أو استحساناته الظنية، أو ميولاته النفسية، أو مصالحه الخاصة.

ج- قصور المفسر وعدم امتلاكه لمتطلبات وشروط التفسير، فلا تكون له ملكة وقدرة على فهم مراد الله تعالى من كلامه، والوصول إلى المعنى الصحيح للآيات، فيقع في الزلل ومخالفة غيره.

6- قصر مدة التفسير الموضوعي مقابل طول مدة التفسير التحليلي

من بين المرححات التي تُطرح للتفسير الموضوعي على التفسير التحليلي، أن هذا الأخير يستغرق مدة زمنية طويلة جدا، حتى يأتي المفسر على إتمام تفسير كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره، فمن المفسرين من استغرق عشرات السنين في تفسيره، ولذا لم يحض بتفسير القرآن كاملا إلا القلة القليلة، بينما لا يحتاج المفسر الموضوعي إلى هذه المدة كلها، لأنه يعمل على موضوع واحد فحسب، ويكفيه في ذلك وقت وجيز لإعداد دراسته.

المناقشة:

مع صحة هذا القول إلا أنه لا يعتبر مرجحاً للتفسير الموضوعي على التحليلي، لأنه ليس بلازم على كل مفسر تحليلي أن يتم تفسير كتاب الله تعالى من فاتحته إلى سوره الناس، فكل على حسب طاقته، وبما يفتح الله عليه، وهناك كثير من المفسرين من اقتصر على تفسير سورة واحدة أو جزء من كتاب الله تعالى تفسيراً تحليلياً، ولم يُعَدِّ ذلك عيباً أو خروجاً على منهج التفسير التحليلي.

كما أنه لا يمكن المقارنة في الفائدة والفضل والأجر بين من وفقه الله تعالى إلى تفسير كتابه كاملاً، وبين من يدرس موضوعاً أو موضوعين من موضوعات القرآن الكريم، فلا ريب أن الأول أعظم أجراً، وأكثر نفعاً، وأوسع فضلاً.

النتيجة:

من خلال العرض السابق ظهر أن كل المرجحات التي طرحها من يرى أفضلية التفسير الموضوعي على التفسير التحليلي بجانبه للصواب، ولا تستند إلى دليل علمي دقيق، بل هي مجرد تمحلات وتكلفات، منبثقة من الميول إلى كل جديد وطرح ما هو تقليدي.

وعليه فإن كل من يرى بأن عهد التفسير التحليلي قد ولى واندثر، وحل محله التفسير الموضوعي، لأنه الأنسب لمتطلبات العصر، والموافق لمقاصد القرآن، فقد أعظم القول، ووقع في الزلل والخطأ لا محالة، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فكيف يدرك موضوعاته، ويفهم مدلولاته، ويصل إلى حقائقه، ويقف على حلوله وعلاجاته، من لم يفهم لغة القرآن وبلاغته وأساليب تعبيره؟ ومن لم يطلع على المأثور الصحيح في تفسيره؟ ومن لم يتعلم ناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله؟

فلا ريب أن من توجه إلى التفسير الموضوعي دون تحصيل التفسير التحليلي كان كحاطب ليل، وأتى بالعجائب، وجمع كل غث وسمين، فيكون فساده أكثر من إصلاحه، فالتفسير التحليلي شرط ضروري وأصل أساس للتفسير الموضوعي، والنوعان من التفسير خطوتان متتابعتان ومرحلتان متكاملتان، فلا يمكن أن تخطو الخطوة الثانية دون المرور على الخطوة الأولى، ولا يمكن الوصول إلى المرحلة الثانية دون تحصيل المرحلة الأولى.

فمن رام التفسير الموضوعي وجب عليه أولاً أن يطلع على كتب التفسير التحليلي بمختلف مناهجها واتجاهاتها، فيتزود وينهل منها، حتى إذا ما أراد دراسة موضوعه وجمع آياته استطاع فهمها فهما صحيحا، واستعملها استعمالاً صائباً، فيظفر بالخيرين، ويحصل الأجرين.

فالعلاقة بين التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي علاقة تكامل وتفاعل، وليس علاقة تمايز وتفاضل، ولا يمكن بأي وجه تقديم أو ترجيح أحد التفسيرين على الآخر، فلكل منهما مجاله ودوره الذي لا يؤديه غيره، فالتفسير التحليلي دور هام في فهم مراد الله تعالى من كلامه، والاهتداء بهديه، والعمل بأحكامه، وللتفسير الموضوعي دور هام في دراسة بعض موضوعات القرآن والاستفادة من هدي القرآن في معالجة وحل بعض قضايا ومشكلات العصر، والتفسير التحليلي يزود التفسير الموضوعي بالمدلولات اللغوية والمعاني القرآنية، ويصوّب مساره ويقوم سبيله، والتفسير الموضوعي يزيد التفسير التحليلي واقعية، ويجعله أكثر تفاعلاً وتأثيراً، فكل منهما يخدم الآخر، ولا ترجيح لأحدهما على الآخر.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات، وبعونہ وتيسيره تُقضى الحاجات، فقد أتينا على إتمام هذا المبحث المتواضع، والذي يمكن في ختامه أن نذكر النتائج الآتية:

1- قدم الباحثون المعاصرون تعاريف عديدة للتفسير الموضوعي، لعل أشملها وأجزها القول بأن: التفسير الموضوعي: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.

2- يُعدّ التفسير الموضوعي حديث النشأة مقارنة بالتفسير التحليلي، وأهم فرق بينها أن المفسر في التفسير الموضوعي يلتزم موضوعا واحدا فيجمع الآيات حوله، ويفهمها ويعيد بناءها بما يخدم موضوعه، بينما يتتبع المفسر في التفسير التحليلي الآيات والسور حسب ترتيبها في المصحف.

3- إنّ كل من زعم أن التفسير الموضوعي هو الأنسب لهذا العصر، وأنه يجب الاستغناء عن التفسير التحليلي، كونه تفسيرا تقليديا، قد ولّى عهده وتلاشى أثره، فقد أعظم القول ووقع في الزلل، لأنه لا يمكن لمن جهل لغة العرب، ولم يُحيط بتفسير الآيات تفسيرا تحليليا أن يدرك موضوعات القرآن، ويقف على حلوله وعلاجاته.

4- إن كل من التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي خطوتان متتابعتان ومرحلتان متكاملتان، فالعلاقة بين التفسيرين علاقة تكامل وتفاعل، وليس علاقة تمايز وتفاضل، ولا يمكن بأي وجه تقديم أو ترجيح أحد التفسيرين على الآخر، فلكل منهما مجاله ودوره الذي لا يؤديه غيره، فالتفسير التحليلي يصبو ويقوم مسار التفسير الموضوعي، والتفسير الموضوعي يزداد التفسير التحليلي واقعية وتأثيرا.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع

- 1- البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي، د. ناشر، الطبعة الأولى، 1976م.
- 2- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، عمان، الطبعة الثانية، 1433 هـ / 2012 م.
- 3- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 100، ذو الحجة 1413 هـ.
- 4- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف، د. ناشر، الطبعة الأولى، 1402 هـ / 1998 م.
- 5- التفسير الموضوعي نشأته ومنهج الكتابة فيه، مصباح موساوي، مطبعة سخري، الوادي، الطبعة الأولى، 2014 م.
- 6- دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر بن عواض الألمي، مطابع الفرزدق، بيروت د. ط.
- 7- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، 1426 هـ / 2005 م.
- 8- محاضرات في التفسير الموضوعي، عباس عوض الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1428 هـ / 2007 م.
- 9- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار النشر والتوزيع الإسلامية، الطبعة الثانية، 1411 هـ / 1991 م.
- 10- المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1434 هـ / 2013 م.
- 11- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، سامر عبد الرحمان رشواني، دار الملتقى، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، 1430 هـ / 2009 م.
- 12- وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، يناير 2014 م.